القول الأبلغ

على

القواعد الأربع

لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

خالد بن محمود بن عبدالعزيز الجهني

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القول الأبلغ

على

القواعد الأربع

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
(ت ١٢٠٦هـ)

تأليف

خالد بن محمود الجهني
عامله الله بلطفه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؛ وبعد؛

فهذا تعليق مختصر على رسالة القواعد الأربع، لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (ت ١٢٠٦هـ)؛ التي بَيَّنَ فيها أهمية التوحيد، وما يضاده من الشرك؛ وذكر أربعة قواعد مهمة للرد على عباد الأضرحة، واستمد هذه القواعد من الكتاب والسنة.

والتوحيد أعظم ما أمرنا الله ﷻ به، ولا يقبل الله عبادة من مشرك؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزُّمَر:٦٥].

وقد أمرنا الله ﷻ بإخلاص العبادة له ﷻ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [الزُّمَر:٢].

نسأل الله أن يغفر لنا العيوبَ، والزَّلَّات، وأن يتغمدنا برحمته، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

٨/ ٣/ ١٤٣٢هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[مقدمة]

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة».

..... الشـــرح .....

ابتداء المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وتأسيا بالنبي ﷺ في مكاتباته، ومراسلاته؛ والبداءة بها للتبرك، والاستعانة علي ما يهتم به.

قوله: «أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة»: هذا دعاء من المصنف رحمه الله لطالب العلم الذي يريد أن يتعلم العقيدة الصحيحة، ودعاء للقارئ الذي يريد الحق والنجاة؛ أن يجعله من أولياء الله ﷻ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ [الأحقاف:١٣]؛ ومن تولاّه الله في الدنيا، والآخرة فإنه آمنٌ من المخاوف في الدنيا، والآخرة.

قوله: «وأن يجعلك مباركا أينما كنت»: لأن الله تعالى إذا جعلك مباركاً، حصلت البركة في كل حياتك، قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١].

قوله: «وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر»: لأن الشكر مقامه عال جداً لا يصل إليه إلا أقل القليل من عباد الله، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ:١٣].

والشكر: هو ظهور أثر نعمة الله على لسان العبد ثناءً، واعترافا؛ وعلى قلبه شهودا، ومحبة؛ وعلى جوارحه انقياداً، وطاعة.

قوله: «وإذا ابتلِيَ صبَر»: أي إذا أصابته بَلِّيَةٌ صبر، واحتسب، قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة:١٥٥].

والصبر: هو حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التسخط على أقدار الله.

قوله: «**وإذا أذنب استغفر**»: لأن الله ﷻ ذكر من علامات المتقين أنهم إذا أذنبوا استغفروا الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران:١٣٥].

قوله: «**فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة**»: أي هؤلاء الثلاث، عنوان السعادة، وأسباب الفلاح؛ فمن حققها في سلوكه، وحاله فإنه قد وُفِّقَ لما تحصل به السعادة في الدنيا والآخرة؛ والخصال الثلاث هي:

١. الشكر على العطية.

٢. الصبر على البلية.

٣. الاستغفار من الذنب.

والسعادة هي: الشعور بالرضا، والأمن.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

«اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام**: أنْ تَعبُدَ الله وحده مُخلصاً له الدين، وبذلك أمرَ الله جميع الناس وخَلَقهم لها، كما قال تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]».

الشرح

قوله: «**اعلم**»: هذه الكلمة يؤتى بها للاهتمام، والحث على ما بعدها؛ أي انتبه أيها المتعلم.

والعلم: هو أعلي مراتب الإدراك، وهو إدراك الشيء علي ما هو عليه إدراكا جازماً.

قوله: «**أرشدك الله**»: أي هداك، ووفقك؛ والرشد: هو الاستقامة علي طريق الحق ضد الغي.

قوله: «**لطاعته**»: الطاعة: هي موافقة المراد فعلا للمأمور، وتركاً للمحذور.

قوله: «**أن الحنيفية** »: الحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك إلى التوحيد، وقد امتدح الله نبيه إبراهيم عليه السلام لأنه ترك ما عليه قومه، ووحَّدَ الله، قال عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل:١٢٠].

والحنيف: هو المائل من الشرك إلى الهدى، وأصل الحنف: هو الميل من الضلالة إلى الهدى، أما الجنف: فهو الميل من الهدى إلى الضلالة.

قوله: «**ملة إبراهيم** عليه السلام»: الملة: هي اسم لجملة الشريعة؛ أما الدين: فهو اسم لما عليه كل واحد من أهلها؛ يقال فلان حسن الدين، ولا يقال حسن الملة.

و ملة إبراهيم: هي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وذلك باجتناب الشرك، والبراءة من أهله، وقد أمرنا الله تبارك وتعالى باتباع ملة إبراهيم عليه السلام، فقال عز وجل: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٥﴾ [آل عمران:٩٥]، وقد حذرنا جل جلاله من اتباع غير ملته عليه السلام فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠]، أي: خسرها.

قوله: «**أنْ تَعبُدَ الله وحده** »: العبادة: لغة هي التذلل والخضوع؛ يقال طريق معبد أي مذلل.

وشرعاً: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال، والأعمال الظاهرة، والباطنة.

الأقوال الظاهرة: هي أقوال اللسان: كالشهادتين، والتسبيح، والتهليل، ورد السلام، ونحوه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والأقوال الباطنة: هي أقوال القلب: كاليقين، والتصديق، ونحوه.

والأعمال الظاهرة: هي أعمال الجوارح: كالصلاة، والصيام، والزكاة، والنذر، والطواف، ونحوه.

والأعمال الباطنة: هي أعمال القلب: كالخوف، والرجاء، والمحبة، والخشية، والإنابة، ونحوه.

قوله: «**مُخلصا له الدين**»: الإخلاص: هو التنقية، والمراد به أن يقصد العبد بعبادته وجه الله، والوصول إلى دار كرامته.

والإخلاص: هو أحد شرطي قبول العبادة، والشرط الثاني هو متابعة النبي ﷺ.

والدين: هو اسم لما عليه كل واحد من أهله.

قوله: «**وبذلك**»: أي بالعبادة الخالصة.

قوله: «**أمرَ اللّه جميع الناس**»: فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة: ٥].

قوله: «**وخلقهم لها**»: أي أوجدهم من العدم ليفردوا له العبادة ﷻ.

قوله: «**كما قال تعالى**: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾»:

أي يوحدون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل موضع في القرآن اعبدوا فمعناه: وحدوا الله.

والعبادة نوعان:

١-عبادة كونيه: وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني، وهي شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد ، ومنها قوله ﷻ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: ٩٣]، فهي شاملة للمؤمن البر والفاجر.

٢-عبادة شرعية: وهي الخضوع لأمر الله الشرعي؛ وهي خاصة بعباده المؤمنين؛ وهذا هو المراد من الآية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

«فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلاّ مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاةً إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشركُ بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه».

الشـــرح

قوله: «**فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته**»: عرفت ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

ولا يقبل الله تبارك وتعالى أي عبادة إلا بشرطين، هما:

١-الإخلاص لله تبارك وتعالى لقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة:٥].

٢-المتابعة للنبي ﷺ لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

فإذا اختل شرط منهما فسدت العبادة.

قوله: «**فاعلم**»: أيها المتعلم، وانتبه.

قوله: «**أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد**»: التوحيد لغة: الإفراد؛ يقال: وحَّدَ الأشياء إذا جعلها شيئاً واحداً.

وشرعاً: هو إفراد الله عز وجل بأفعاله، وإفراده بالعبادة، وإفراده بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى.

قوله: «**كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة**»: هذا تنظير للشيء بغيره، فالعبادة إذا فرغت من التوحيد، ولم يكن فيها إخلاص لله فهي كصلاة المحدث لا تقبل منه، ولا تنفعه، ولا تبرأ بها ذمته منها.

قوله: «**فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت**»: المراد بالشرك هنا: الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر فإنه يفسد العمل المقارن.

فائدة: الشرك قسمان:

شرك أكبر، وشرك أصغر؛ ومن العلماء من قسمه إلى ثلاثة أقسام: أكبر، وأصغر،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وخفي.

فالشرك الأكبر: هو كل شرك أطلقه الشارع، وكان متضمناً لخروج الإنسان من دينه.

أما الشرك الأصغر: فهو كل عمل قولي، أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا يُخرج من الملة.

أما من قسمه إلى ثلاثة أقسام فأخرج الرياء من الشرك الأصغر، وأفرده بنوع مستقل.

قوله: «كالحدث إذا دخل في الطهارة»: فإنه يفسدها مهما كانت الطهارة مجودة، فكذلك العبادة إذا دخلها الشرك.

قوله: «فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل»: أي أبطل العمل الذي شاركه.

قوله: «وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك»: أي: معرفة التوحيد، الذي تصح به العبادات.

الشرك أعظم الذنوب، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسعُود ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»[1].

والمشرك لا يدخل الجنة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

والمشرك ذنبه غير مغفور، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قوله: «لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة»: هذا فائدة، وثمرة من ثمار دراسة التوحيد، وهي الحرص على التخلص من الشرك، وشبه الشيخ رحمه الله الشرك بالشبكة، لأن الشبكة إذا عَلَقَ بها قَدَمُ الإنسان سيسقط فيها، ثم قد يتعلق بجميع بدنه إذا حاول فَكَّهَا، فلا يستطيع أن يتخلص منها، وهذا تمثيل بديع للشرك، فإن الإنسان إذا تساهل في يسير الشرك أوشك أن يقع في عظيمه؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ لأصحابه ﷺ:: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ»[2]، وهم الذين كسروا الأصنام، وجاهدوا المشركين.

قوله: «وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه:» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) حسن: رواه أحمد (٣٩/ ٣٩)، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾»: اختلف المفسرون في الشرك المذكور في هذه الآية على قولين:

١-الشرك الأصغر، للعموم؛ وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٢-الشرك الأكبر، قالوا: العموم مقيد بالإجماع على أن الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار.

و الصحيح أن المسألة ليس فيه إجماع، وعلى كلا القوليين يجب على الإنسان أن يجتنب الشرك الأكبر، والأصغر.

قوله: «وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه»: فيجب معرفة هذا الخطر العظيم لتجتنبه، لتتوقى كل ما يقربك إليه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يوشك أن تنقض عُرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القاعدة الأولى

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

«أن تعلم أن الكافرين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام، والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١]».

الشــرح

قوله: «**أن تعلم أن الكافرين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر**»: هذا فيه بيان حال الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، حالهم الإقرار بتوحيد الربوبية، وهو إفراد الله ﷻ بأفعاله، كالخلق، والتدبير، والملك، والرزق، فقد كان الكفار مقرين بهذه المعاني، إلا طائفة منهم ، وهم الدهريون الذين قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

قوله: «**وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام**»: أي أن ذلك التوحيد، وهو توحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، بل قاتلهم النبي ﷺ.

قوله: «**والدليل**»: أي على أن الكفار كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.

قوله: «**قوله تعالى**: ﴿ قُلْ ﴾»: أي قل لهم يا محمد ﷺ.

قوله: «﴿ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾»: هذا فيه إثبات الرزق لله ﷻ، وأنه الرازق.

قوله: «﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾»: هذا فيه إثبات الملك لله ﷻ.

قوله: «﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾»: هذا فيه إثبات الخلق، وفيه أيضاً إثبات البعث بعد الموت، لكن الكفار لا يقرون بالبعث بعد الموت، إنما يثبتون أن الله ﷻ يحيي ويميت، فيقولون: الذي أحيا فلاناً الله، والذي أمات فلاناً الله، فجمهورهم لا يقر بالبعث بعد الموت، بل كانوا ينكرون ذلك، كما ذكر ذلك ﷻ في آيات عديدة.

قوله: «﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾»: هذا فيه إثبات التدبير، وأن الله هو المدبر، وهذه الأمور الأربعة هي أركان توحيد الربوبية، ولا يستقيم الإقرار بتوحيد الربوبية إلاَّ بهذه الأمور، مع إضافة الإحياء، والإماتة، وأن الله ﷻ يبعث الناس بعد موتهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله: «﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾»: إذا سُئل هؤلاء عن هذه الأمور فجوابهم: اللَّهُ ﷻ.

قوله: «﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾»: أي تتقون كل ما يوقع الإنسان في الهلكة، وهذا إطلاق يفيد العموم، وأول ما يتقى الشرك، وذلك أنه أول ما نهى الله عنه، وأول ما أمر الله بضده، وهو التوحيد، أفلا تتقون الشرك إذا كنتم تقرون بهذه الأمور.

ملخص هذه القاعدة: أن التوحيد ليس معناه الإقرار بالربوبية وحدها، وأن الشرك لا يكون في الربوبية وحدها، بل توحيد العبادة هو الذي وقعت فيه الخصومة، والشرك في توحيد الإلهية هو الغالب في الأمم، والأكثر وقوعاً فيها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القاعدة الثانية

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

«أنهم يقولون: ما دعوناهم، وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة، والشفاعة.

فدليل القربة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر:٣].

ودليل الشفاعة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة، فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤]، والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله، والشافع مُكرَم بالشفاعة، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والمشفوع له من رضي الله قوله، وعمله بعد الإذن».

الشـــرح

هذه القاعدة فيها بيان ما يحتج به أهل الشرك على شركهم، فكل من صرف شيئاً من العبادة، التي لا تجوز إلا لله احتجوا بقولهم: هؤلاء أولياء الله، هؤلاء نرجو أن يقربونا إليه، أو هؤلاء نرجو شفاعتهم عند الله ﷻ يوم القيامة.

قوله: «أنهم يقولون: ما دعوناهم، وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة، والشفاعة»:

فهم يفسرون قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة:٣٥]، أي: ما يوصلكم إليه من الأولياء، والصالحين، يحرفون الكلم عن مواضعه، فهم يفسرون كلام الله ﷻ بما نهى عنه الله ﷻ، وما نهى عنه رسوله ﷺ.

والقربة: هي التقرب إلى ولي، أو رجل صالح، أو غيرهما ليوصل إلى الله ﷻ.

والشفاعة: هي اتخاذ الواسطة التي تُوصِلُ إلى المطلوب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله: «**فدليل القربة**»: أي الدليل على أن اتخاذ القربة من أفعال المشركين، ومن اتخذها فهو كافر.

قوله: «**قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾»: أي آلهة.

قوله: «﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾»: أي يقولون: ما نعبدهم

قوله: «﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾»: أي ما نعبدهم لعلة من العلل إلا لأجل التقريب، وزلفى: أي منزلة، ومكانة، فهم لا يفعلون ذلك إلا طلباً للمكانة عند الله.

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾»: أي من هذه الدعاوى الكاذبة.

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾»: هذا دليل على كفر من اتخذ وليا، أو صالحاً قربةً بينه، وبين الله ﷻ.

قوله: «**ودليل الشفاعة**»: أي الدليل على أن اتخاذ الشفاعة من أفعال المشركين، ومن اتخذها فهو كافر.

والشفاعة لغة: هي جعل الوتر شفعاً؛ قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر:٣].

وشرعا: هي التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة.

والشفاعة من حيث الحكم ثلاثة أقسام:

١-شفاعة متفق عليها بين المسلمين جميعاً، وهي الشفاعة العظمى.

٢-شفاعة اختلف فيها أهل السنة مع أهل البدع كالخوارج، والمعتزلة؛ وهي الشفاعة في أهل الكبائر في الخروج من النار.

٣-شفاعات مختلف فيها بين أهل السنة؛ وهي باقي أنواع الشفاعات.

ويشترط في قبول الشفاعة ثلاثة شروط:

١-الإذن في الشفاعة.

٢-الرضا عن الشافع.

٣-الرضا عن المشفوع.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم:٢٦].

قوله: «**قوله تعالى:** ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾»: أي يعبدون هؤلاء الأموات، أو هؤلاء الغائبين؛ وهؤلاء لا يملكون هم جلب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النفع، أو دفع الضر.

قوله: «﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾»: أي هؤلاء الأموات يشفعون لنا، بعبادتنا إياهم، فيطلبون لنا الخير من الله ﷻ.

قوله: «**والشفاعة شفاعتان**»: أي أن الشفاعة تنقسم باعتبار المشفوع فيه إلى قسمين.

قوله: «**شفاعة منفية**»: هي التي نفاها الله ﷻ في القرآن، وهي التي تطلب بغير إذن الله، أو تطلب لمشرك.

قوله: «**وشفاعة مثبتة**»: هي التي أثبتها الله ﷻ في القرآن، وهي التي تطلب بإذن الله لأهل التوحيد.

قوله: «**فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله**»: فمن طلب الشفاعة من أحد فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ فقد أشرك، أما من طلب الشفاعة من أحد فيما يقدر عليه فهو جائز، وليس من الشفاعة الشركية، التي أمر بها النبي ﷺ في قوله: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ»[1].

قوله: «**والدليل قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ﴾»: أي قدموا لآخرتكم شيئاً ينفعكم من النفقات، والعبادات قبل أن يأتيكم ذلك اليوم.

قوله: «﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾»: أي الذي لا يملك فيه أحد شيئاً يتجر به، ولا يملك أن يبيع شيئا يفتدي به نفسه من النار.

قوله: «﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾»: أي لا صداقة، ولا أخوة، فليس بين الناس أخوة، فيتبرأ كل خليل من خليله، إلا المتقين ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّخرُف:٦٧].

قوله: «««﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾»: أي ليس فيه الشفاعة الشركية، التي تطلب من الأموات، أو تطلب من غير الله ﷻ.

قوله: «﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾»: أي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله ﷻ.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٤٣٢)، من حديث أبي موسى ﷺ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله: «**والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله**»: أي أن الشفاعة المثبتة هي التي أثبتها الله ﷻ في كتابه، ولا تطلب إلا من الله ﷻ.

قوله: «**و الشافع مكرم بالشفاعة**»: أي أن الله يكرم من يشاء من عباده، بأن يجعله شفيعا.

قوله: «**والمشفوع له من رضي الله قوله، وعمله بعد الإذن**»: أي أن الشفاعة لا تحصل إلا بعد إذن الله ﷻ للشافع، ورضاه عن المشفوع.

قوله: «**كما قال تعالى**: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾»: أي لا أحد يشفع عند الله إلاَّ بإذنه، فـ «من» هنا استفهامية يراد بها النفي.

ملخص هذه القاعدة: أن المشركين الذين حكم الله ﷻ عليهم بالخلود في النار، كانوا يقرون بأفراد توحيد الربوبية، وهي الخلق، والتدبير، والملك، ومع ذلك حكم الله بكفرهم لأنهم اتخذوا معبوداتهم وسطاء، وقربة عند الله ﷻ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القاعدة الثالثة

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

«أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣].

ودليل الشمس، والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فُصِّلَت:٣٧].

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران:٨٠].

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦].

ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء:٥٧].

ودليل الأحجار، والأشجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم:٢٠].

وحديث أبي واقدٍ الليثي ﷺ قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما هم ذات أنواط...» الحديث».

الشرح

قوله: «أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم»: أي ليسوا مجتمعين على عبادة واحدة، بل هم أنواع، وفرق.

قوله: «منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر»: ومن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكفار من كان يعبد هذه جميعاً، ومنهم من كان يشرك بين نوعين منها.

قوله: «**وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم؛ والدليل قوله تعالى:** ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾»: أي لم يفرق النبي ﷺ بين من يعبد الملائكة، وبين من يعبد الحجر، أو يعبد شيئاً آخر، بل قاتلهم جميعاً؛ ولم يميز بين من يعبد الملائكة، وبين من يعبد غيرهم، بل الجميع يجب أن يكونوا عباداً لله وحده لا شريك له.

والفتنة: هي الشرك.

والدين: هو العبادة، والعمل.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله الدليل على تفرق هؤلاء، وتنوع عباداتهم، واختلاف طرائقهم في العبادة فقال:

قوله: «**ودليل الشمس، والقمر**»: أي الدليل على عبادتهم الشمس، والقمر.

قوله: «**قوله تعالى:** ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾»: أي أن هناك أناس يعبدون الشمس، والقمر؛ فنهاهم الله ﷻ عن عبادتهما ، مع أنهما من أعظم مخلوقاته الدالة على ربوبيته ﷻ.

قوله: «**ودليل الملائكة**»: أي الدليل على أن منهم من كان يعبد الملائكة.

قوله: «**قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًا﴾»: أي إن الله ﷻ ينهاكم عن اتخاذ الملائكة، والأنبياء آلهة.

قوله: «**ودليل الأنبياء**»: أي الدليل على أن منهم من كان يعبد الأنبياء.

قوله: «**قوله تعالى:** ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾»: هذا دليل على أن من اعتقد في مخلوق جلب منفعة، أو دفع مضرة، فقد اتخذه إلها.

قوله: «﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾»: هذه الآية دليل على أن هناك من يعبد الأنبياء، وفيها أيضاً رد على من زعم أ الشرك مقصور على عبادة الأصنام فقط.

قوله: «**ودليل الصالحين**»: أي الدليل على أن منهم من كان يعبد الصالحين.

قوله: «**قوله تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾»: أي أولئك الذين تدعونهم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله: «﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾»: أي يعبدون الله ﷻ، ويتوسلون إليه، ويتقربون إليه بعبادته.

والوسيلة لغة: هي الشيء الذي يُتوصَّل به إلى المقصود؛ فالوسيلة هي التي تُوَصِّل إلى مرضات الله ﷻ، وهي قسمان:

١-وسيلة مشروعة: هي الطاعة التي تقرب إلى الله، والتوسل إليه ﷺ بأسمائه وصفاته.

٢-وسيلة ممنوعة: هي التوسل بالمخلوقين إلى الله ﷻ.

قوله: «﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾»: أي أيكم أقرب ؟ أنتم الذين تعبدونهم، وهم مخلوقون؟ أم هم الذين يعبدون الله ﷻ، ويطلبون القربة.

قوله: «﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾»:أي يحذره المؤمنون ويحترسون منه بترك معاصي الله تعالى.

فائدة: اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على قولين:

القول الأول: أنها نزلت فيمن يعبد المسيح، وأمه، وعزيرا، فأخبر ﷻ أن المسيح، وأمه مريم، وعزيرا كلهم عباد محتاجون إلى الله ﷻ مفتقرون إليه يدعونه، ويتوسلون إليه بالطاعة ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، يعني: القُرب منه ﷻ بطاعته، وعبادته، فدل على أنهم لا يصلحون للعبادة؛ لأنهم بشر محتاجون.

القول الثاني: أنها نزلت في أناس من المشركين كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجن، ولم يعلم هؤلاء الذين يعبدونهم بإسلامهم، وصاروا يتقربون إلى الله ﷻ بالطاعة.

وعلى كلا القولين لا يجوز عبادة الصالحين، سواء كانوا من الأنبياء، أو الصديقين، أو غيرهم.

قوله: «**ودليل الأحجار، والأشجار**»: أي دليل عبادتهم الأحجار، والأشجار.

قوله: «**قوله تعالى:** "﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾»: هذا استفهام إنكاري للتوبيخ.

قوله: «﴿ٱللَّٰتَ﴾»: بتخفيف التاء: اسم صنم في الطائف، وهو عبارة عن صخرة منقوشة، عليها بيت مبني، وعليه ستائر، يضاهي الكعبة؛ وكانت لثقيف، وما والاهم من القبائل، وكانوا يفاخرون بها.

بتشديد التاء: اسم فاعل من (لَتَّ يَلُتُّ)، وهو: رجل صالح كان يلُتُّ السويق، ويُطْعمه للحجاج، فلما مات بنَوا على قبره بيتاً، وأرخوا عليه الستائر، فصاروا يعبدونه من دون الله ﷻ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله: «﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾»: الْعُزَّى: عبارة عن شجرات من السَّلَم في وادي نَخْلَة بين مكة، والطائف، حولها بناء، وستائر؛ وكانت لقريش، وأهل مكة، ومن حولهم.

قوله: «﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾»: مَنَاةَ: عبارة عن صخرة كبيرة في مكان يقع قريباً من جبل قديد، بين مكة، والمدينة؛ وكانت لخُزاعة، والأوس، والخزرج، وكانوا يُحرمون من عندها بالحج، ويعبدونها من دون الله.

فهذه الأصنام الثلاثة هي أكبر أصنام العرب؛ ومعنى الآية: هل أغنتكم هذه الأصنام شيئاً ؟! أو هل نفعتكم شيئاً ؟!، وفي هذه الآية دليل على أن هناك من يعبد الأشجار، والأحجار.

قوله: «**وحديث أبي واقدٍ الليثي** ﷺ»: أبو واقد الليثي ﷺ أسلم يوم الفتح سنة ثمان من الهجرة، وتوفي ﷺ سنة ثمان وستين؛ والظاهر أنه عاش نحوا من ثمانين سنة.

قوله: «**قال:** «**خرجنا مع النبي** ﷺ **إلى حنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها**»: العكوف معناه: البقاء عندها مدة تقرباً إليها.

قوله: « **وينوطون بها أسلحتهم** »: أي يعلقون بها أسلحتهم للتبرك بها.

قوله: «**يقال لها**»: أي تسمى.

قوله: «**ذات أنواط**»: الأنواط جمع نوط، وهو التعليق، أي صاحبة الأنواط، وذلك لكثرة ما يعلق بها طلباً للبركة.

قوله: «**فمررنا بسدرة**»: أي بشجرة.

قوله: «**فقلنا**»: أي قال بعض الصحابة الذين أسلموا قريباً، ولم يعرفوا التوحيد تماماً.

قوله: «**يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط...**»: عند ذلك تعجب النبي ﷺ، وقال: «الله أكبر ! الله أكبر ! إنها السُّنن» أي الطرق التي يسلكها الناس، ويقتدي بعضهم ببعض؛ ثم قال ﷺ: « قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨]»[1].

الشاهد: أن هناك من يتبرك، ويعكف عند بعض الأشجار والأحجار.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١١٢١)، وأحمد (٣٦/ ٢٢٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يستفاد من هذا الحديث:

١-خطر الجهل بالتوحيد، فمن جهل شيئاً وقع فيه، ومن هنا يجب تعلم التوحيد.

٢-خطر التشبه بالمشركين، وأنه قد يؤدي إلى الشرك.

٣-أن التبرك بالأحجار، والأشجار، والأبنية شرك، وإن سُمي بغير اسمه؛ لأن طلب البركة من غير الله شرك.

ملخص هذه القاعدة: أن النبي ﷺ حارب الشرك بجميع صوره، بغض النظر عن المعبودات، ولم يفرق بين هذا وذاك، بل سوى بينهم في ثبوت حكم الكفر، وفي مقاتلتهم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القاعدة الرابعة

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين؛ لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة.

والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الشرح

قوله: «**أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين**»: أي أن مشركي زمانه، وهم الذين كانوا في عصر المؤلف رحمه الله، وهو القرن الثاني عشر.

قوله: «**لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة**»: أي عند الشدة يقطعون عَلائق الشرك، ولا يتوجهون إلاَّ إلى الله سبحانه وتعالى بالرغبة، والرهبة، وأما في الرخاء فإنهم يعبدون الله سبحانه وتعالى، وغيره، يصرفون العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، فهذا حال المشركين المتقدمين.

قوله: «**ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة**»: أي أن مشركي الزمان المتأخر في زمن المؤلف رحمه الله، وكذلك في الزمن الحاضر فيقع منهم الشرك في الرخاء، والشدة، فهم لا يخلصون العبادة لا في حال الرخاء، والسعة، ولا في حال الشدة، والضيق.

قوله: «**والدليل قوله تعالى**: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ ﴾»: أي: لما ركبوا البحر أخلصوا لله سبحانه وتعالى الدعوة، فلم يصرفوها لغيره.

قوله: «﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾»: أي أخلصوا له الدين الظاهر، والباطن، الذي هو عمل القلب، وقول اللسان.

قوله: «﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾»: أي لما حصلت لهم السلامة، والنجاة من الشرك إذا هم يشركون بالله سبحانه وتعالى.

ملخص هذه القاعدة: أن المشركين في عصر المؤلف رحمه الله، والزمن الحاضر، أغلظ وأشد شركاً من شرك الأولين.

تم الشرح والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأسئلة والمناقشة

في ضوء دراستك لشرح «القواعد الأربع» أجب عن الأسئلة الآتية:

١- ما هو عنوان السعادة في الدنيا والآخرة؟

٢- ما الفرق بين مشركي قريش ومشركي زماننا؟

٣- بماذا تُجيب على من يقول: إننا لا نعبد الأصنام إنما نتخذهم قربة وشفاعة؟

٤- ما هي أنواع الشفاعة؟ وما تعريف كل نوع منهما؟

٥- ما هو شرك الرخاء، والشدة؟

٦- هل كفار قريش كانوا مقرين بالربوبية؟

٧- تكلم عن القواع الأربع تفصيلا.

٨- ما الدليل على كل ما يأتي:

أ- كفر من يعبد الشمس و القمر.

ب-كفر من يعبد الملائكة.

ت-كفر من يعبد الأنبياء.

ث-كفر من يعبد الصالحين.

ج-كفر من يعبد الأشجار و الأحجار

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية.